

لمحات من حياة وآثار بديع الزمان سعيد النورسي

إحسان قاسم

١- نشأته:

في مطلع القرن الهجري الماضي ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م وفي قرية نُورس الواقعة في جنوب شرقي تركيا الحالية، ولد ابن لأبوين اشتهرا في القرية بورعهما المثالي، فسَمَّياه سعيداً، وقد كتب له القدر أن يكون من أبرز علماء الإصلاح الديني والاجتماعي في العصر الراهن. فلم تكن حياته إلا ملحمة من الوقائع والأحداث التي تصب جميعها في خدمة القرآن العظيم وتفسير نصوصه، وبيان مرامي آياته البينّات، ضمن رؤية تبلورت مع الزمن ومع أطوار رحلة العمر، وكانت غايتها النهائية بث اليقظة وإعادة الحياة والفعل للأمة المسلمة بعد طول رقاد.

وما برح سعيد أن التحق بمجموعة من الكتاتيب والمرافق التعليمية المبتوثة في تلك النواحي حول قريته نورس. وكان يستوعب كل ما يقدم له من علم، وسرعان ما أضحي لا يجد ما يستجيب لنهمه العلمي في المراكز التي يقصدها. من هنا كانت إقامته في تلك المراكز ظرفية، إذ كان يتوق إلى الاستزادة المعرفية الحققة.. وظل يرتحل من مركز إلى مركز، ومن عالم إلى آخر.

لم يعد يجد لدى مدرّسيه ما يفيدونه به، فأضحي يتلقى العلم بجهد، ويلتهم ما في بطون الكتب التي كانت متوفرة في ذلك الزمن من تفسير وحديث ونحو وعلم كلام وفقه ومنطق. وكان يملك قوة نادرة في الحفظ، ويعمد إلى الحفظ عن ظهر قلب كل ما تقع عليه عيناه من تلك العلوم. حتى حفظ ما يقرب من تسعين كتاباً من أمهات الكتب.

وتهيأ بعد ذلك وبفضل الرصيد العلمي الجَمّ الذي اكتسبه في طفولته المبكرة تلك، إلى أن يجلس إلى المناظرة ومناقشة العلماء، وانعقدت له عدة مجالس تناظر فيها مع أبرز الشيوخ والعلماء في تلك المناطق، وظهر عليهم جميعاً، وطارت شهرته في الآفاق.

وفي سنة ١٣١٤هـ/١٨٩٧م ذهب إلى مدينة "وان" وانكبّ فيها على دراسة كتب الرياضيات والفلك والكيمياء والفيزياء والجيولوجيا والفلسفة والتاريخ انكبّاباً؛ حتى تعمق فيها إلى درجة التأليف في بعضها فسمي بـ "بديع الزمان" اعترافاً من أهل العلم بذكائه الحاد وعلمه الغزير واطلاعه الواسع.

٢- نشاطه الحركي وظروف عصره:

وفي تلك الأيام نُشر في الصحف المحلية أن وزير المستعمرات البريطاني "غلاستون" قد صرّح في مجلس العموم البريطاني وهو يخاطب النواب قائلاً: "ما دام القرآن بيد المسلمين لن نستطيع أن نحكمهم، فلا مناص لنا من أن نزيله من الوجود أو نقطع صلة المسلمين به "زلزل هذا الخبر كيانه وأقضى مضجعه فأعلن لمن حوله: "لأبرهنن للعالم بأن القرآن شمس معنوية لا يخبو سناها ولا يمكن إطفاء نورها". فشدّ الرحال إلى إستنبول عام ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م، وقدم مشروعاً إلى السلطان عبد الحميد الثاني رحمه الله تعالى لإنشاء جامعة إسلامية في شرقي الأناضول، أطلق عليها اسم "مدرسة الزهراء" - على غرار الأزهر الشريف - تنهض بمهمة نشر حقائق الإسلام وتدمج فيها الدراسة الدينية مع العلوم الكونية الحديثة على وفق مقولته: "ضياء القلب هو العلوم الدينية، ونور العقل هو العلوم الحديثة، فبامتزاجهما تتجلى الحقيقة، فتتربى همة الطالب وتعلو بكلا الجناحين، وبافتراقهما يتولد التعصب في الأولى والحيل والشبهات في الثانية"^(١).

في سنة ١٣٢٩هـ/١٩١١م سافر إلى الشام، والتقى برجالها وعلمائها، وبسبب ما لمسوا فيه من علم ونجابة، استمعوا إليه في الجامع الأموي الشهير وهو يخطب في الآلاف من المصلين خطبة حفظها لنا الزمن واشتهرت في تراثه بـ "الخطبة الشامية"^(٢). لقد كانت تلك الخطبة برنامجاً سياسياً واجتماعياً متكاملًا.

وباندلاع الحرب العالمية الأولى كان طبيعياً أن يهبط بديع الزمان في طليعة المجاهدين، فشكّل فرقةً فدائية من طلابه واستمات معهم في الدفاع عن حِمى الوطن في جبهة القفقاس، وجرح في المعارك مع الروس وأسر^(٣) واقتيد شبه ميت إلى "قوصتورما" من مناطق روسيا حيث قضى سنتين وأربعة أشهر، ثم هياً الله له أثناء "الثورة البلشفية" الانفلات، فعاد إلى بلاده^(٤) واستقبل استقبالاً رائعاً من قِبَل الخليفة وشيخ الإسلام والقائد العام وطلبة العلوم الشرعية ومنح وسام الحرب. وكلفته

الدولة العثمانية بتسنّم بعض الوظائف، رفضها جميعاً إلا ما عينته له القيادة العسكرية من عضوية في "دار الحكمة الإسلامية"، التي كانت لا تمنح إلا لكبار العلماء، فنشر في هذه الفترة أغلب مؤلفاته باللغة العربية منها: تفسيره القيمّ إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، الذي ألفه في خضمّ المعارك، و المثنوى العربي النوري.

وبعد دخول الغزاة إلى إستنبول^(٥) أحس النورسي أن طعنة كبيرة وجهت إلى العالم الإسلامي، فكان حتماً أن يقف في طليعة من يتصدى للقهر والهزيمة، فسارع إلى تحرير كتيب بعنوان: الخطوات الست^(٦) حرّك به همة مواطنيه ووضع تصوره لرفع المهانة وإزالة عوامل القنوط التي ألحقتها الهزيمة بالدولة العثمانية والمسلمين عامة.

وبعد هذه الفترة أي منذ ١٩٢٢م وضعت قوانين واتخذت قرارات لقلع الإسلام من جذوره وإخماد جذوة الإيمان في قلب الأمة التي رفعت راية الإسلام طوال ستة قرون من الزمان. فألغيت السلطنة العثمانية في (١/١١/١٩٢٢م) وأعقبه إلغاء الخلافة في (٣/٣/١٩٢٤م) فمنع تدريس الدين في المدارس كافة، وبدلت الأرقام والحروف العربية في الكتابة إلى الحروف اللاتينية، وحرّم الأذان الشرعي وإقامة الصلاة باللغة العربية، وجرت محاولات إحلال ترجمة القرآن الكريم في العبادات، ومنع القيام بأي نشاط أو فعالية لصالح الإسلام، إذ حُظر طبع الكتب الإسلامية، وأرغم الناس على تغيير الزي المحليّ إلى الزي الأوروبي، فالرجال أرغموا على لبس القبعة والنساء على السفور والتكشّف.

وشكّلت محاكم زرعت الخوف والإرهاب في طول البلاد وعرضها، ونصبت المشانق لعلماء أجلاء، ولكل من تحدّثه نفسه بالاعتراض على السلطة الحاكمة. فساد جوٌّ من الذعر والإرهاب في أرجاء البلاد، حتى أصبح الناس يخفون القرآن الكريم عن أنظار موظفي الدولة. ونشطت الصحافة في نشر الابتذال في الأخلاق والاستهزاء بالدين، فانتشرت كتب الإلحاد وحلّت محلّ كلمات "الله، الرب، الخالق، الإسلام" كلمات "الطبيعة، التطور، القومية التركية" .. إلخ^(٧).

ولم ينج بديع الزمان من شرارة الفتن والاضطرابات فنفي مع الكثيرين إلى "بور دور" في شتاء سنة ١٩٢٦م. ثم نفي وحده إلى ناحية نائية وهي "بارلا" جنوب غربي الأناضول.

٣- نشاطه الفكري:

يقول عن نفسه في هذه الفترة: ".. صرفت كل همّي ووقتي إلى معاني القرآن الكريم. وبدأت أعيش حياة "سعيد الجديد". أخذتني الأقدار نفيّاً من مدينة إلى أخرى. وفي هذه الأثناء تولدت من

صميم قلبي معاني جلييلة نابعة من فيوض القرآن الكريم. أمليتها على من حولي من الأشخاص، تلك الرسائل التي أطلقت عليها "رسائل النور" إنها انبعثت حقاً من نور القرآن الكريم. لذا نبع هذا الاسم من صميم وجداني، فأنا على قناعة تامة ويقين جازم بأن هذه الرسائل ليست مما مضغته أفكاره وإنما إلهام إلهي أفاضه الله سبحانه وتعالى على قلبي من نور القرآن الكريم، فباركت كل من استنسخها، لأنني على يقين أن لا سبيل إلى حفظ إيمان الآخرين غير هذه السبيل. وهكذا تلقفتها الأيدي الأمانة بالاستنساخ والنشر، فأيقنت أن هذا تسخير رباني وسوق إلهي لحفظ إيمان المسلمين. فاستشعرت بضرورة تشجيع كل من يعمل في هذه السبيل امتثالاً بما يأمرني به ديني..^(٨).

وهكذا استمر الأستاذ النورسي في تأليف رسائل النور حتى سنة ١٩٥٠م وهو يُنقل من سجن إلى آخر ومن محكمة إلى أخرى. طوال ربع قرن من الزمان. ولم يتوقف خلاله من التأليف والتبليغ حتى أصبحت أكثر من (١٣٠) رسالة، جمعت تحت عنوان "كليات رسائل النور" التي لم تتيسّر لها أن ترى طريقها إلى المطابع إلا بعد سنة ١٩٥٤م.

واستطاعت رسائل النور بفضل الله سبحانه وتعالى أن تبني في طول تركيا وعرضها مدرسة إيمانية قرآنية. أنقذت الناس من التيه والحيرة والصراع والجهل والوقوع في براثن الشرك الجلي والخفي. ذلك لأنها كانت نابعة من القرآن الكريم وإدراك لطبيعة العصر و حركته وصراعات أفكاره بأسلوب مطابق لروح العصر يفهمه الخاص والعام. وهنا نورد النص الآتي لينير لنا جانباً من أسلوب رسائل النور المتميز، عن الأساليب الأخرى في عرض حقائق القرآن وترسيخ أركان الإيمان. "... إن معرفة الله المستنبطة بدلائل "علم الكلام" ليست هي المعرفة الكاملة، ولا تورث الاطمئنان القلبي، في حين أن تلك المعرفة متى ما كانت على نهج القرآن الكريم المعجز، فإنها تصبح معرفة تامة، وتسكب الاطمئنان الكامل في القلب نسأل الله العلي القدير أن يجعل كل جزء من أجزاء "رسائل النور" بمثابة مصباح يضيء السبيل القويم النوراني للقرآن الكريم.

وكما أن معرفة الله الناشئة من "علم الكلام" تبدو ناقصة وقاصرة، فإن المعرفة الناتجة عن طريق "التصوف" أيضاً ناقصة ومبتورة نفسها أمام المعرفة المستقاة من القرآن الكريم مباشرة من قبل "ورثة الأنبياء". ولقد شبهنا في "كلمات" أخرى من رسائل النور، لبيان الفروق بين الذين يستلهمون نهجهم من القرآن الكريم والذين يسلكون نهج علماء الكلام بمثال:

إنه لأجل الحصول على الماء هناك من يأتي به بواسطة أنابيب من مكان بعيد يحفره في أسفل الجبل، وآخرون يجدون الماء أينما حفروا، ويفجرونه أينما كانوا، فالأول سيرٌ في طريق وعر

وطويل والماء معرّض فيه للانقطاع والشحة، وهذا هو مسلك علماء الكلام، إذ يثبتون واجب الوجود باستحالة الدور والتسلسل غير المتناهي للأسباب.

أما منهاج القرآن الحكيم فهو يجد الماء ويفجّره في كل مكان وببسر كامل، فكل آية من آياته الجليلية تفجّر الماء أينما ضربت - كعصا موسى - وتستقرئ قول الشاعر:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

ثم إن الإيمان لا يحصل بالعلم فحسب، إذ إن هناك لطائف كثيرة للإنسان لها حظها من الإيمان، فكما أن الأكل إذا ما دخل المعدة ينقسم ويتوزع إلى مختلف العروق حسب كل عضو من الأعضاء، كذلك المسائل الإيمانية الآتية عن طريق العلم، إذا ما دخلت معدة العقل والفهم، فإن كل لطيفة من لطائف الجسم - كالروح والقلب والسر والنفس وأمثالها - تأخذ حظها منها، وتمصها حسب درجتها. فإن كانت فاقدة غذاء لطيفة من اللطائف فالمعرفة إذاً ناقصة مبتورة، وتظل تلك اللطيفة محرومة منها^(٩).

لبى الأستاذ النورسي نداء ربه الكريم في الخامس والعشرين من رمضان المبارك سنة ١٣٧٩هـ، الموافق ٢٣ مارس ١٩٦٠م فدفن في مدينة "أورفة". ولكن السلطات العسكرية الحاكمة آنذاك لم تدعه يرتاح حتى في قبره؛ إذ قاموا بعد أربعة أشهر من وفاته بنش القبر ونقل رفاتة بالطائرة إلى جهة مجهولة، فأصبح قبره مجهولا حتى الآن لا يعرفه الناس. تغمده الله برحمته الواسعة وأسكنه فسيح جناته.

٤- تأليفاته باللغة العربية:

- ١- إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز (ط. ١٩١٨).
- ٢- المثنوي العربي النوري. (ط. ١٩٢٣).
- ٣- قزل إيجاز على السلم. (ط. ١٩٢١).
- ٤- تعليقات "في المنطق".
- ٥- رجّة العوام ورجّة العلماء "صيقل الإسلام" (ط. ١٩١٢).
- ٦- الخطبة الشامية - دواء اليأس - (ط. ١٩١١ و ١٩١٢).
- ٥- تأليفاته القديمة باللغة التركية التي لم تنشر ضمن كليات رسائل النور:

- ١- طلوعات (ط. ١٩٢١).
- ٢- شعاعات من معرفة النبي صلى الله عليه وسلم (ط. ١٩٢١).
- ٣- رموز (ط. ١٩٢١).
- ٤- إشارات (ط. ١٩٢١).
- ٥- نطق (ط. ١٩١٢).

كليات رسائل النور:

المجلد الأول: الكلمات:

تقع في ٩٢٠ صفحة تضم ثلاثاً وثلاثين رسالة. توجز التسع الأولى منها معاني العبادة والعقيدة ونظر المؤمن إلى الدنيا، ووظيفة الإنسان في الوجود، وأن تجارته الرابحة هي في بيع نفسه وماله لله، وأن الإيمان بالله والآخرة يحل لغز الكون، وبيان حكمة أوقات الصلاة. ثم رسالة مستقلة في إثبات الحشر بتجليات الأسماء الحسنی، تعقبها مهمة الإنسان في الحياة والموازنة بين حكمة القرآن والفلسفة، وإيراد نظائر من الكون للحقائق القرآنية إسعافاً للقلوب التي ينقصها التسليم، ثم بيان معاني لرحم الشياطين. وشرح واف لأحدية ذات الله جل جلاله مع عموم أفعاله الربانية، وخلقه الأشياء دفعة واحدة وخلقه التدريجي، وقربه منا مع بعدنا عنه، وبيان الانسجام التام بين تجلي اسم الله القهار واسم الرحمن. وإيضاح أن كل شيء جميل إما بذاته أو بغيره، وإثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بشكل مفصل، وبيان أهمية معجزات الأنبياء في حثها الإنسان على التقدم في مضمار العلم. وتنبيه النفس المتكاسلة إلى الصلاة مع بيان أنواع الوسوس وسبل علاجها. وإيضاح التوحيد الحقيقي بأمثلة وافية، وبيان تكامل الإنسان بالإيمان. ومشاهدة تجليات الأسماء الحسنی على العوالم، وذكر مفاتيح لحل أسرار كثيرة في الوجود، وسرد اثني عشر أصلاً من أصول فهم الأحاديث الشريفة، وتنوع عبادة المخلوقات. ورسالة مستقلة في وجوه إعجاز القرآن، وأخرى في القدر الإلهي والجزء الاختياري للإنسان. تعقبها رسائل في لطائف الجنّة، وفي بقاء الروح والملائكة والمعراج النبوي وثمراته. ومواقف علمية دقيقة في أسرار التوحيد، والتدرج في إدراك الأسماء الحسنی. والرسالة الأخيرة ثلاثة وثلاثون نافذة مطلقة على التوحيد. وقد ألحقت رسالة "اللوامع" بنهاية الكتاب، وهي ديوان شعر إيماني لطلاب النور.

المجلد الثاني: المكتوبات:

تقع في ٦٧٢ صفحة تضم ثلاثاً وثلاثين رسالة تستهل بأجوبة عن أسئلة حول حياة الخضر عليه السلام، وحكمة الموت ومخلوقيته وموقع جهنم. ثم سرد لمشاهد من حياة المؤلف وتأملاته الإيمانية في الكون، وإن الاهتمام بالمسائل الإيمانية ضرورة في هذا الزمان، وبيان حكمة زواج الرسول الكريم بزینب رضي الله عنها والفرق بين الكرامة والإكرام والاستدراج، وكيف توجه مجرى السجایا، وما الفرق بين الإيمان والإسلام؟ وإظهار عدالة الشريعة في الميراث، والحكمة في إخراج آدم عليه السلام من الجنّة، وحكمة خلق الشياطين والشرور. ثم موقف المؤلف من السياسة وسبب ابتعاده عنها. والحكمة من وراء الفتن التي وقعت في زمن الصحابة الكرام رضي الله عنهم وحول نزول عيسى عليه

السلام، وبيان أن مسلك الصحابة الكرام وأهل الصحو أسمى من وحدة الوجود وأسلم منه. ورسالة مستقلة في معجزات الرسول الكريم تضم أكثر من ثلاثمائة معجزة من معجزاته مسندة بأحاديث صحيحة. والتفصيل في أهمية الإيمان بالله ومعرفته ومحبته، وكيفية رعاية حقوق الآباء والشيوخ ورسالة خاصة في الأخوة بين المؤمنين وسبل علاج الاختلاف. وإيضاح ما يجري في الكون من موت ومصائب، ومقتضيات اسم الرحيم والحكيم والودود. وذكر أسرار الدعاء وأنواعه، ورسالة في دحض دسائس الشيطان حول القرآن. وبيان أضرار الدعوة إلى العنصرية، والإفصاح عن منهج الاعتدال في الاختلافات بين مسالك الأولياء، وكيف أن رسائل النور تؤدي مهمة الإرشاد، ورسالة في الشكر وأنه ثمرة الكائنات. وأجوبة عن أسئلة متنوعة حول إعجاز القرآن ومعرفة حقائقه. ورسالة في حكمة الصيام، وتنبيه حملة القرآن إلى دسائس الشيطان، والرد على المبتدعة الذين يحاولون تغيير الشعائر الإسلامية. وفي الختام رسالة في التصوف وبيان محاسنه ومزالقه. وقد ألحقت بها رسالة "نوى الحقائق" وهي مقتطفات لسانحات قلبية من آثار المؤلف القديمة.

المجلد الثالث: اللمعات:

تقع في ٤٤٦ صفحة تستهل بالدروس المستخلصة لحياتنا اليومية من مناجاة سيدنا يونس وأيوب عليهما السلام، ثم بيان أن السنّة النبوية مرقاة ومنهاج. ورسالة في حكمة الاستعاذة من الشيطان، ومذكرات في العروج إلى المعرفة الإلهية. وبيان أهمية الاقتصاد ومغبة الإسراف ورسالتان في دساتير الإخلاص في الفرد وفي الجماعة. ثم رسالة في الرد على الطبيعيين. ورسائل رقيقة ودقيقة إلى الأخوات في الآخرة، وبيان أهمية الحجاب، ورسالة إلى المرضى والمبتلين وإلى الشيوخ من خلال ذكريات المؤلف نفسه. ورسالة في التفكير الإيماني الرفيع، ومسك الختام رسالة الاسم الأعظم المتضمنة قياسات من أسماء الله الحسنى: "القدوس، العدل، الحكيم، الفرد، الحي، القيوم".

المجلد الرابع: الشعاعات:

تقع في ٧٥٢ صفحة تضم خمس عشرة رسالة تستهل في إثبات: أن جمال الكون ومزايا الإنسان لا يظهر إلا بالتوحيد. ورسالة "المناجاة" ضمن جولة في أرجاء الكون. ثم اللواذ إلى كنف الرحمن في مراتب "حسبنا الله ونعم الوكيل"، وبيان أشراف الساعة وصفات الدجال والسفياني. والتأمل في معاني "التحيات لله..."، ورسالة جليظة في مشاهدات سائح يستنطق الكون. وإثبات أن الإيمان بالآخرة أساس حياة الإنسان الفردية والاجتماعية. وبيان حكمة التكرار في القرآن، وثمرات الإيمان بالملائكة. وتعقبها مرافعات الأستاذ النورسي وطلابه في محاكم دنيزلي وآفيون، ومع رسائل مسلية من السجن. وفي الختام إقامة الحجج الدامغة في إثبات التوحيد والرسالة.

المجلد الخامس: إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز "تحقيق":

تفسير قيّم لفاتحة الكتاب وثلاثين آية من سورة البقرة، يقع في ٣٣٢ صفحة يبيّن بعبارات موجزة الإعجاز النظمي للقرآن الكريم أي جهة مناسبة الآيات بعضها ببعض، وتناسب الجمل وتناسقها، وكيفية تجاوب هيآت الجمل وحروفها حول المعنى المراد، معتمداً في ذلك على أدق قواعد علم البلاغة، وعلى أصول النحو والصرف، وقوانين المنطق ودراسات علم أصول الدين، وسائر ما له علاقة بذلك من مختلف العلوم. وقد أملى المؤلف هذا التفسير البديع في الوقت الذي كانت رصاصات بنادق الروس تتدفق أثناء الحرب العالمية الأولى، فلم يرعبه ذلك الموقف الرهيب ولم يشغل فكره الثاقب عن الجَوْلَانِ في مناحي إعجاز القرآن المبين.

وقد أُلْحِقَ بالكتاب "قالوا عن القرآن" للأستاذ الدكتور عماد الدين خليل.

المجلد السادس: المثنوي العربي النوري "تحقيق":

يقع في ٥٣٤ صفحة يضم اثنتي عشرة رسالة باللغة العربية هي:

- ١- لمعات من التوحيد الحقيقي.
- ٢- رشحات من معرفة النبي صلى الله عليه وسلم.
- ٣- لا سيما "في إثبات الحشر".
- ٤- قطرة من بحر التوحيد وذيلها.
- ٥- حباب من عمان القرآن وذيلها.
- ٦- حبة من نواتات ثمرة من ثمرات جنان القرآن وذيلها.
- ٧- زهرة من رياض القرآن الحكيم وذيلها.
- ٨- ذرة من شعاع هداية القرآن وذيلها.
- ٩- شمة من نسيم هداية القرآن وذيلها.
- ١٠- شعلة من أنوار شمس القرآن.
- ١١- نقطة من نور معرفة الله جل جلاله "مترجمة".
- ١٢- نور من أنوار نجوم القرآن.

هذه الرسائل بمجموعها ترشد إلى دروب النفس الأُمارة بالسوء، وتكشف عن دقائق مسالكها وخبايا دسائسها، وتضع العلاج لأمراضها المتنوعة، ومن ثم تأخذ بيد القارئ إلى منابع الإيمان في رياض الكون الفسيح، لينهل منها ما ينهل حتى يرتوى القلب، ويشبع العقل وتنبسط الروح ... فضلاً عن أنها توصله إلى أصول فكر الأستاذ النورسي، فيوغل معه في أعماق تجاربه مع النفس، ويرافقه في

سريان روحه في أرجاء الكائنات، ويعمل فكره في ما نصبه من موازين علمية ومعايير منطقية ومناهج فطرية، فهذا السفر النفيس يشتمل على خلاصة أفكاره، بل إن أغلب ما أزهَرَ من أفكاره - في رسائل النور - بذوره كامنة فيه. إذ يضع أمام كل مسلم، بل كل إنسان نمطاً جديداً وفريداً من أساليب التزكية والتربية، قلماً يجده في كتاب آخر؛ حيث أنه يمزج أدق الموازين العقلية والمقاييس المنطقية بأرفع الأشواق القلبية، وأسطق التفجرات الروحية ضمن أمثلة ملموسة تكاد لا تخفى على أحد، آخذاً بيده برفق، متجولاً معه في ميادين النفس والآفاق، مبيّناً له ما توصل إليه من نتائج يقينية، بعد تجارب حقيقية خاض غمارها تحت إرشاد القرآن الكريم.

المجلد السابع: الملاحق في فقه دعوة النور:

عبارة عن مجموعة مكاتيب جرت بين الأستاذ النورسي وطلابه الأوائل. وطابعها العام توجيهي إرشادي يبين أهمية رسائل النور، ومنهجها في الدعوة إلى الله في هذا العصر. تكتنفها مكاتيب وديّة يبيّن فيها الطلاب مدى استفادتهم الروحية من رسائل النور، واستفادتهم العقلية منها، وكيف أنها حوّلت مجرى حياتهم، وفتحت أمامهم آفاقاً معرفية واسعة. وتتضمن أيضاً توجيهات لتقويم السلوك وكيفية التعامل مع الآخرين، والحث على الإيمان العميق والعمل المتواصل والترابط الوثيق والاعتصام بالكتاب والسنة، مع التأكيد على العبادة وشحن القلب بالذكر والدعاء والتفكير الإيماني، ودوام الاستغفار والانطراح بين يدي المولى القدير عاجزاً فقيراً.. وأمثالها من الأمور التي تهّم كل داعية إلى الله، بل كل مسلم.

وتتضمن "الملاحق" ثلاثة كتب مستقلة هي:

- ١- ملحق بارلا. ٢- ملحق قسطنطيني. ٣- ملحق أميرداغ.

وكل ملحق من هذه الملاحق الثلاثة يبيّن مرحلة معيّنة من مراحل حياة الأستاذ النورسي، مثلما يبيّن مرحلة مميّزة أيضاً من تاريخ دعوة النور منذ انبثاقها في تركيا. لذا امتازت "الملاحق" بطابع دعوي خاص في مخاطبة المحييين والمناصرين للدين بل حتى المعارضين له، وحثّهم جميعاً للذود عن الإسلام وعقيدته وتاريخه، لما واجه المجتمع التركي وقتئذ من ملابسات سياسية قاسية شاذة، فالحرمان من أبسط المفاهيم الإسلامية في مرحلة لم يكن هناك عمل إسلامي جاد، يحمل على عاتقه مسؤولية النهوض بحمل الأمانة وإرشاد أبناء الأمة.

المجلد الثامن: صقيل الإسلام "آثار سعيد القديم":

يقع في ٥٩٨ صفحة، ويضم الرسائل الآتية:

- ١- محاكمات عقلية في التفسير والبلاغة والعقيدة "ترجمة وتحقيق"،
- ٢- قول إيجاز: حاشية الأستاذ النورسي على "السلم المنورق" المنظوم لشيخ الإسلام عبد الرحمن الأخضرى (ت: ٩٨٣هـ) في علم المنطق، مع شرح الملا عبد المجيد.
- ٣- تعليقات على برهان الكلنبوي: رسالة في علم المنطق أيضاً؛ عبارة عن تعليقات وتقريرات الأستاذ النورسي على كتاب البرهان للعالم المحقق إسماعيل بن مصطفى الكلنبوي (ت: ١٢٠٥هـ). وهاتان الرسالتان ألفهما الأستاذ النورسي باللغة العربية.
- ٤- السانحات:
- ٥- المناظرات:
- وهما رسالتان باللغة التركية تسلطان الأضواء على الأوضاع الاجتماعية والسياسية في فترة ما قبل الحرب العالمية الأولى، حيث أُلقتا والدولة العثمانية تعاني ما تعاني في أيامها الأخيرة، وقد دبت فيها أمراض شتى وعلل متنوعة، لذا تضمن الحلول الوافية والعلاجات الشافية لها، وفي الوقت نفسه تضمّد الجروح الغائرة التي أصيبت بها الأمة الإسلامية جمعاء وتضع البلمس الشافي عليها بأسلم وسيلة.
- ٦- المحكمة العسكرية العرفية:
- وهي دفاع الأستاذ النورسي أمام المحكمة العسكرية العرفية في عهد الاتحاديين، والمسماة بـ "شهادة مَدْرَسَتِي المصيبة"؛ إذ عندما طالب الأستاذ إصلاح التعليم، وتأسيس جامعة في شرقي الأناضول باسم مدرسة الزهراء أُلقي في مستشفى المجازيب، وبعده أقتيد إلى المحكمة العسكرية بتهمة مطالبته بعودة الشريعة.
- ٧- الخطبة الشامية: وهي التي ألقاها في الشام بين فيها أمراض الأمة الإسلامية ووسائل علاجها.
- ٨- الخطوات الست: ألفت رداً على احتلال الإنجليز لإستنبول، تفنّد أباطيلهم، وتشدّ من عزائم المسلمين في تلك الأيام المظلمة.
- المجلد التاسع: سيرة ذاتية: اعداد
سيرة حياة بديع الزمان سعيد النورسي مستخلصة من جميع مؤلفاته ومرتبة حسب التسلسل التاريخي.

فاعلية رسائل النور في تقويم السلوك :

إنني أجد نفسي في غنى عن إبراز الدور التجديدي لرسائل النور، حيث أدلى كل أستاذ متخصص وكل باحث مفكر بدلوه في هذا الميدان بل أجاد، وذلك في عشرات الندوات الثقافية والملتقيات العلمية والمؤتمرات العالمية التي أقامتها جامعات ومؤسسات علمية في كل من الأردن والمغرب ومصر واليمن وماليزيا وإندونيسيا وأستراليا وألمانيا وإنكلترا فضلا عن تركيا.

استهل كلامي بما واجهته من سؤال سألني به أحد الطلبة عقب المحاضرة التي ألقيتها حول ترجمة رسائل النور في قاعة كلية الآداب في الدار البيضاء بالمغرب^(١٠). والسؤال هو: "ما الذي دفعك للقيام بهذا المجهود الضخم بترجمة كليات رسائل النور في تسعة مجلدات من اللغة التركية إلى العربية، فإن جميع المصادر الإسلامية هي باللغة العربية ومنها تُترجم إلى اللغات الأخرى، فما الذي دفعك بالسير المخالف هذا؟ وكان جوابي جملة قصيرة:

أخلاق طلاب النور وسلوكهم الإسلامي. ولا أزكي على الله أحداً. نعم، عند لقائي طلاب النور في سنوات السبعينات لمست الإسلام حياً نابضاً ومعيشاً في حلهم وترحالهم، بل كشفت فيهم صفاء الإيمان ونقاء الوفاء وصدق الإخلاص ودوام العطاء، واستشعرت بالاطمئنان والسكينة تغمران قلوبهم.

لست بدعاً في هذا الإعجاب تجاه هذا الإسلام الحي والإيمان الفتحي. فكثيرون جداً ممن التقوا بطلاب النور لمسوا هذا الإيمان الحي وصرحوا به أو كتبوا عما شاهدوه. فقد عبّر أخونا الأديب "أديب إبراهيم الدباغ" بقلمه السيال عن هذا السلوك الإيماني بعد ما خالطهم لمدة وجيزة فكتب يقول: "عندكم - يا أخوتي - وجدنا عظمة أصولنا الإيمانية وهي تشع بالنضارة والرّي. وفي رياضكم وقفنا على منابت جذورنا القرآنية وهي تموج بالخصب وتسيح بالعطاء. ومن بين أيديكم كنا نتناول أبقار المعاني والأفكار في شدّه وذهول وكأننا لم نعرف الإيمان قبل أن نرتشف معانيه من كؤوسكم، ولم نكن نعرف القرآن قبل أن نسمعه من بين شفاهكم. فلا والله لا أدري ما أقول: أنتم بالإيمان تحيون؟ أم يحيا الإيمان بكم؟ وهل بالقرآن تتحركون أم يتحرك القرآن بكم؟ فمذ عرفناكم عرفنا كيف يتحول الإيمان في نفس المؤمن إلى يقظة وجدان وصحوة فكر وهزة ضمير ولهفة مشتاق"^(١١).

وكتب الأستاذ الدكتور محسن عبد الحميد: "إن من لا يصاحب طلبه النور ولا يخالط أجيالهم الشابة في إيمانهم العميق وهدوئهم البرئ، وأخلاقهم العالية ونظافتهم البديعة، ودروسهم

الإيمانية المطهرة، لا يعلم مدى عمق أثر الإمام النورسي في تربية الجيل الجديد على حب الله ورسوله، ثم حب العلم والفكر والعرفان والتغيير” (١٢).

والأمثلة في هذا كثيرة وكثيرة جداً لكنني اكتفيت بهذين المثالين. وساءلت نفسي: كيف نالوا هذا الحظّ الوافر من السلوك القويم والإيمان العميق الذي ينعكس نوره حتى على ملامحهم ناهيك عن أعمالهم وحركاتهم، على الرغم من حرمانهم من اللغة العربية بل حتى من الحروف العربية، بعد ما فعلت بهم فؤوس الحقد ومعاول الهدم والتخريب ما فعلت؟

لا شك أن السر يكمن في رسائل النور التي يقرأونها ويتدارسونها، ولا شيء غيرها.. فلقد حيل بينهم وبين مصادر الإسلام كافة بتغيير الحروف إلى اللاتينية، بل حيل بينهم وبين القرآن الكريم. وغدت لهم هذه الرسائل المصدر والمرجع لاستلهاهم حقائق الإيمان. وبفضل الله سبحانه وتعالى استطاعت هذه الرسائل بروحها القرآنية أن تأخذ بأيدي طلابها من الإيمان التقليدي إلى الإيمان التحقيقي والعروج بهم إلى معرفة الله سبحانه وتعالى، معرفة من يصدق عليه حديث جبريل عليه السلام الذي سأل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام، ثم قال: ”ما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك” (١٣).

هذا الإيمان ”التحقيقي الشهودي“ هو الذي جعل طالب النور وكأنه في معية الله جلّ وعلا ”فيفكر دائماً في حضور الخالق الرحيم سبحانه وتعالى ورؤيته له، أي أنه حاضر وناظر إليه دائماً. فلا يلتفت عندئذٍ إلى غيره، ولا يستمد من سواه. حيث النظر والاتفات إلى ما سواه يخلّ بأدب الحضور وسكينة القلب” (١٤). هذا الإيمان ”التحقيقي الشهودي“ هو الذي جعل إيمانه بالملائكة، الأنس بهم واستشعار معاشتهم ومعيتهم كل حين. هذا الإيمان ”التحقيقي الشهودي“ هو الذي جعل محبته للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وسنته الشريفة مهيمنة على قلبه لا تغادره ليلاً ونهاراً حتى في أبسط آدابها، لما تعلم من الرسائل أن ”شعاع السنّة المطهرة هو الإكسير النافذ، فهي كافية ووافية لمن يبتغي النور، فلا داعي للبحث عن نور في خارجها” (١٥).

هذا الإيمان ”التحقيقي الشهودي“ هو الذي جعل الحياة الآخرة عنده كحياة مشهودة شهادة عين وبصيرة، لكثرة ما استلهم من الرسائل من دلائل وجودها ويرى في آفاق الكون والحياة من نظائرها.

هذا الإيمان ”التحقيقي الشهودي“ هو الذي جعل طالب النور المدقق لا يجد في نفسه ضرورة إلى البحث عن مرشد طريقة ليحصل على الحضور القلبي الدائم والمعرفة الإلهية الدائمة. حيث إن رسائل النور قد بيّنت له:

إن التوحيد الحقيقي - أسمى بكثير من معرفة تصويرية مجردة - فهو حكمٌ وتصديقٌ وإذعانٌ وقبولٌ، بحيث يمكن المرء من أن يهتدي إلى ربه من خلال كل شيء. ويرى في كل شيء السبيل المنورة التي توصله إلى خالقه الكريم، فلا يمنعه شيء قط عن سكينته قلبه واطمئنانه، واستحضاره لمراقبه ربه^(١٦). أي أن في كل شيء ابتداء من الذرات وانتهاء إلى المجرات، ونافذة تطل على التوحيد، وفي كل منها دلائل وإشارات تدل مباشرة على الواحد الأحد بصفاته الجليلة. مصداقاً للقول الحكيم:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

والأستاذ النورسي لا ينقل إلى قراء الرسائل هذه الأركان الإيمانية علوماً نظرية محدودة، أو تصورات ذهنية باردة، وإنما ينقل لهم كيانه القرآني في تجربة كونية معرفية خصبة جداً، ذاتية في القرآن الكريم، إذ يقول: "ما كتبتُ إلا ما شاهدت، بحيث لم يبق لنقيضه عندي إمكانٌ وهمي"^(١٧). ويقول: "لا تحسبن أن ما أكتبه شيء مضغته الأفكار والعقول. كلا! بل فيض أفيض على روح مجروح وقلب مقروح، بالاستمداد من القرآن الكريم، ولا تظنه أيضاً شيئاً سيلاً تذوقه القلوب وهو يزول. كلا! بل أنواراً من حقائق ثابتة انعكست على عقل عليل وقلب مريض ونفس عمي"^(١٨). ونراه يخاطب القارئ: "لا تخف من تمرد النفس لأن نفسي الأمارة المتمردة المتجبرة انقادت وذللت تحت سطوة ما في هذه الرسالة من الحقائق! بل شيطاني الرجيم أفحم وانخس. كن من شئت، فلا نفسك أطفى وأعصى من نفسي، ولا شيطانك أغوى وأشقى من شيطاني"^(١٩).

فالرسائل إذن دروس قرآنية توافق هذا العصر تتفجر حيوية وتتدفق أفكاراً حارة. وحيث إن أساتذة فضلاء وعلماء أجلاء قد أثبتوا هذا بدلائل قوية تستحق كل تقدير في بحوثهم العلمية التي قدّموها في المؤتمرات العالمية والندوات العلمية العديدة^(٢٠)، أحيل إليها وليس لي مزيد عليها، سوى ما أقتبسه من الأستاذ الدكتور عشريني سليمان قوله: "لم يترك القرآن بصمته الذهبية على روح النورسي فحسب، بل لقد حمل تراثه برمته تلك البصمة، إذ جاءت آثار القرآن وخصائصه البنائية والمنهجية والأدائية ملموسة في النص النوري: "تكرار تثبيتي، استدعاء توجيهي، استرسال تكميلي، تمثيل توضيحي، تخشيع، تذكير، تبصير، إدهاش، تحسيس بالطبيعة والكون، تركيز على التوحيد، جعل الإنسان محور الوجود وغاية المخاطبات"^(٢١).

وربما يرد بالبال سؤال: "صحيح أن رسائل النور تفسير متميز للقرآن الكريم يلائم مفاهيم هذا العصر، ولكن أليس هناك تفاسير قيّمة أخرى لأئمة أعلام؟ فأين إذن سرّ فاعلية رسائل النور حتى

استطاعت بفضل الله أن تبني في طول البلاد وعرضها مدرسة إيمانية روحية فكرية كبرى وارفّة الظلال مستقيمة المسالك آتت أكلها بإذن الله في كل مكان.؟

فالجواب: أن سر الفاعلية يكمن فيما يستشعره كل من يستمرّ على قراءة الرسائل، من التغيير والتحوّل في قرارة ذاته؛ تحوّل في نفسه، في فكره، بل في كيانه كله، حتى ينعكس على حياته. وقد مررتُ بهذا التحوّل بنفسى، كما أفصح لي الكثيرون عما حدث لهم من التحوّل. وتحريبت عن مكمن هذا السرّ العجيب كثيراً وسألت عنه الكثيرين ومازلت أبحث وأتحرى. وكما لا يخفى ليس سهلاً ذكر ما جرى ويجري من حالات التغيير الروحي والتحوّل الفكري والانقلاب النفسى، إذ لها خصوصيتها لكل فرد، ولكن الميزة مشتركة لدى الجميع.

إن في رسائل النور سرّاً عجيباً كأنها تصوغ الإنسان صياغة جديدة. نعم، إن كل من يقرأ رسائل النور بإمعان يشعر ويحس في كيانه بهذه الصياغة الجديدة بل يكاد يلمسها لمس اليد في نفسه وفي روحه وفي قلبه، حتى أنه يرى بعد مدة من المداومة على القراءة كأنه إنسان جديد؛ عالمه قد تبدل واتسع، نظرتّه إلى الوجود وإلى الأحداث وإلى كل ما حوله قد تجددت، عالمه الداخلي قد غمره من الاطمئنان والسكينة والانشراح ما يذكر بسعادة الآخرة قبل بلوغها، وعندئذ لا يتمالك نفسه من البوح بهذه المشاعر والجدّة في كيانه إلى كل قريب وصديق. وهذا أمر واقع لاشك فيه. ولكن ربما يجد فيه من لم يقرأ رسائل النور مبالغة وغلوا ومدحاً وثناءً للرسائل أكثر مما تستحق. إلا أن الشاهد على أحقية هذا الكلام ألوف بل مئات الألوف ممن قرأوا ودرسوا رسائل النور، وليس فقط التركيبة منها بل حتى ترجماتها العربية والإنكليزية وغيرها من الترجمات. علماً أن شاهدين عدلين كافيان لإثبات صدق قضية من القضايا. ولما كنت عاجزاً عن بسط هذا الأمر "صياغة رسائل النور للإنسان" أكثر من هذا، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قُرْبَ حاملِ فقهٍ إلى مَنْ هو أفقه منه وربّ حاملِ فقهٍ ليس بفقيه" (٢٢). أحببت أن أضعه أمام أنظاركم الكريمة أيها الأساتذة الكرام والعلماء الأفاضل كي تنقبوا عن مكمن السر في هذا المؤلف الغريب في هذا العصر العجيب، لعل الله سبحانه وتعالى يفتح عليكم أمراً فتفيدونا به.

ولهذا سوف لا أذكر إلا بضعة عوامل من هذه الصياغة.. أذكرها باختصار شديد ضمن أمرين

فحسب. وهما متداخلان مع بعضهما البعض في الحقيقة:

الأمر الأول: عوامل فاعلية الرسائل في تقويم سلوك الفرد.

والآخر: عوامل فاعليتها في تسديد مسيرة الجماعة.

فاعلية الرسائل في تقويم سلوك الفرد:

إن عوامل هذه الفاعلية كثيرة جداً أذكر منها أربعة بإيجاز:

١- تمزيق ستار العادة:

يقول الأستاذ النورسي: "إن القرآن الكريم، ببياناته القوية النافذة، إنما يميز غطاء الألفة وستار العادة الملقى على موجودات الكون قاطبة، والتي لا تُذكر إلا أنها عادية مألوفة مع أنها خوارق قدرةٍ بديعةٍ ومعجزاتها عظيمة. فيكشف القرآن بتمزيقه ذلك الغطاء حقائقٍ عجيبةٍ لذوي الشعور، ويُلفت أنظارهم إلى ما فيها من دروسٍ بليغةٍ للاعتبار والعظة، فاتحاً كنزاً لا يفنى للعلوم أمام العقول" (٢٣). ورسائل النور تقتفي أثر القرآن العظيم في تمزيقه لغطاء العادة والمألوف، إذ ما أن يطالع المرء رسائل النور ويداوم على قراءتها حتى يشاهد أن الأستار المانعة لرؤية الحقائق وحُجُبها الملقاة على الموجودات والأحداث تتمزق أمامه وتتلاشى، فيرى معجزات القدرة الإلهية وخوارق العادات في عين العاديات من الأمور والأشياء التي أصبحت شفاقة تشف عما تحتها ووراءها، فيرى من خلال حجب الأسباب الظاهرية للأحداث والوقائع، الأسباب الحقيقية للقدر الإلهي والحكمة الربانية. فلا يضطرب تجاه الحوادث ولا يقلق أمام المصائب والنوائب.

٢- إزالة ركام الشبهات:

لاشك أن المخاطب في الوقت الحاضر غيره بالأمس، إذ شئت عليه الضلالة هجوماً شرساً اجتثت من قلبه جذور الإيمان، وكدست في عقله ركام الشبهات التي ما أنزل الله بها من سلطان، ووضعت بينه وبين فهم الآيات القرآنية الكريمة والآيات المبثوثة في الآفاق والأنفس، حواجز قاتمة وموانع كثيفة من ظلمات الفكر المادي وتفويض الأمور إلى تأثير الأسباب المادية باسم العلم والثقافة والتقدم، وغرررتها في فكره وذهنه سواء من خلال مناهج دراسية أو عبر قنوات ثقافية وإعلامية المسموعة والمرئية. حتى أصبح المخاطب عاجزاً عن اختراق تلك الحواجز وتجاوزها والتخلص منها ليتمكن من التدبر في الآيات الكريمة ويستفيض منها غذاءه الروحي والعقلي.

ولكن ب مداومة قراءة الرسائل، والاستفاضة الدائمة منها، يزول ما علق على فطرته من الركامات، وتُرفع من أمامها الحواجز والموانع التي وضعتها وسائل الضلالة، حتى تسلم فطرته وتُعافي، وتُفتح بصيرته وتنقذ إلى درك الحقائق بإذن الله.

وهكذا بتحرره من النظر السطحي العابر، ويزوال ركام الشبهات والحواجز، ينفث أمامه

باب واسع جداً وهو:

٣- التعامل مع معاني الأسماء الحسنى:

إذ يشعر قارئ الرسائل أنه يزاول تعاملًا ذوقياً وقلبياً وروحياً وفكرياً مع معاني الأسماء الحسنى، لا تعاملًا نظرياً، بل استكشافياً، فيشاهد أنوار تجليات تلك الأسماء فيما حوله من الموجودات، وفي الحوادث اليومية، لكثرة ما تضع الرسائل بين يديه من ضرب الأمثال الحياتية الواقعية، فيحيا بتلك المعاني الجميلة بعقله وقلبه وروحه بل بجميع لطائفه وأحاسيسه ومشاعره.

وبهذا تصبح الموجودات والحوادث لقارئ الرسائل مظاهر لتجليات الأسماء الحسنى ومكاتيب ربانية مفتوحة يفهم منها معانيها الحقيقية، حتى لا يبقى مجال للغفلة عن المولى الكريم، بل يكسب بالتأمل فيها مرتبة من الاطمئنان واسعة سعة الكون، وتفتح أمامه عبودية دائمة وواسعة سعة الكون. وعندها تتحول أنواع العلوم التي يقرؤها من خلال مناهج دراسية وأشكال الثقافة التي يتلقاها عبر قنوات ثقافية وإعلامية المسموعة والمرئية إلى أدوات لمعرفة الله ونوافذ تطل على التوحيد. وكلما عاود القراءة، ظهرت له من معاني الأسماء الحسنى أكثر، وأتته حقائقها تترى في تجاربه اليومية وفي معاملاته الحياتية. وكلما انسكبت أنوار من تلك المعرفة الإلهية إلى روح طالب النور ونفذت إلى قلبه انعكست في سلوكياته وتصرفاته، حتى تطفح على محياه. علاوة على ذلك تنعش الرسائل روح القارئ وتعزز في قلبه وترسخ في عقله أصولاً إيمانية وموازين قرآنية، ما يعينه على اجتياز العقبات التي تجابهه وحل المشكلات التي تقابله.

وربما تحدث هذه العوامل؛ من تمزق أستار العادة أمام نظر القارئ وزوال ركام الشبهات عن فطرته واكتسابه موازين قرآنية وتعامله مع معاني الأسماء الحسنى، لدى دراسته رسالة واحدة من رسائل النور. وربما تحدث باطلاعه على عدد من الرسائل إن أراد المزيد، فيغنم فراسة صادقة وبصيرة نافذة وأنواعاً من السعادة الحقة، والسرور الخالص، والنعمة التي ما بعدها نعمة، واللذة التي لا تفوقها لذة في معرفة الله في محبة الله.

فهذا النظر إلى الكائنات والأحداث هو نظر قرآني محض حيث لا يقضي على الكائنات بالعدم كما هو لدى بعض الطرق الصوفية ولا يسجنها في سجن النسيان المطلق كما هو لدى البعض الآخر من الطرق، بل ينقذ الكائنات من الإهمال والعبثية ويجعلها مسخرة في سبيل الله سبحانه وتعالى، جاعلاً من كل شيء مرآة تعكس أنوار المعرفة الإلهية، فاتحاً في كل شيء نافذة تطل إلى المعرفة الربانية.

٤- الحضور الأخرى:

يقول الأستاذ النورسي: "إن هذا العصر العجيب الذي أثقل كاهل الإنسان بالحياة الدنيوية بما كثر عليه من متطلبات الحياة وضيّق عليه مواردها، وحول حاجاته غير الضرورية إلى ضرورة بما ابتلاه من تقليد الناس بعضهم بعضاً ومن التمسك بعبادات مستحكمة فيهم، حتى جعل الحياة والمعاش هي الغاية القصوى والمقصد الأعظم للإنسان في كل وقت. هذا العصر العجيب أسدل بهذه الأمور حجاباً دون الحياة الدينية والأخرى والأبدية، أو في الأقل جعلها أمراً ثانوياً أو ثالثياً بالنسبة له.." (٢٤).

ولما كانت رسائل النور تستقي من فيض القرآن وتستمد من بحره وترجع إليه، وأن رُبع القرآن آيات حول الآخرة، فما يفتح القارئ رسالة إلا ويجد فيها ما يذكره بالآخرة تصريحاً أو تلميحاً أو إشارة، بأمثلة واقعية من حياته اليومية، فيغدو "الكون بسرّ التوحيد، بمثابة مزرعة تهيئ محاصيل وفيرة جداً لعالم الآخرة ومنازلها. وبمثابة مصنع عظيم يهيئ لوازم لطبقات دار السعادة من أعمال بشرية غنية بمحاصيلها. وبمثابة جهاز تصوير سينمائي دائب عظيم يضم مئات الألوف من أجهزة الالتقاط لالتقاط صور من الدنيا وعرضها مناظر سرمدية لأهل عالم البقاء ولأهل الشهود في الجنة" (٢٥). فضلاً عن أنه تعلم من الرسائل أن الآخرة ليست منتهى الدنيا، بل هي موجودة الآن فترسل إليها أعماله وأقواله في كل آن. وبهذا يتكامل حسّه الأخرى فتكون الآخرة قريبة إليه كأنه يشاهدها مشاهدة عين وبصيرة ويعايشها معايشة حياتية. ومن هنا وصفهم أخونا الدكتور الأنصاري: "إن طلاب النور يشعرونك أنك أمام عمال الآخرة. إن أنداء الجنة تفوح من قلوبهم وهم يمارسون مهامهم" (٢٦).

٥- الشعور بالعناية الربانية:

إن كل مؤمن صادق يشعر بلا شك أنه تحت رعاية الله وعنايته الربانية، ولكن شعور طالب النور شعور حيّ ملازم له حيث يرى آثار هذه العناية باستمرار وكأنها لا تفارقه، إذ يستشعرها دائماً بأحاسيسه المتيقظه ولطائفه المتنبهة، حتى لكأن العناية الربانية تأخذ بيده وتهديه إلى سواء السبيل. هكذا تمضي حياة طالب النور في يقظة شعورية مع اطمئنان قلبي وراحة نفسية. حتى إذا ما غفل وفتّر عن العمل القرآني لسبب من الأسباب بمقتضى بشريته وأخطأ فالعناية الربانية توقظه بـ "لطفة رحمة ورأفة" كما يعبر عنها الأستاذ النورسي الذي يقول: "إن العاملين المخلصين في هذه الخدمة القرآنية لما يعترهم الفتور والإهمال في العمل يأتيهم التحذير والتنبيه فيتلقون لطفة ذات رأفة وعطف، ويتنبهون من غفلتهم، ويسرعون بجهد للخدمة مرة أخرى.." (٢٧).

نخلص مما سبق: أنه بهذه العوامل التي ذكرناها وبغيرها التي لم نذكرها، وهي عوامل متداخلة وليست متسلسلة، تفعل الرسائل فعلها في تطهير ذهن القارئ وتحريك قلبه وتوجيه عقله

وتنبيه روحه فيصبح طالب النور إنساناً قرآنيًا في أخلاقه، في سلوكه، في كلامه، في عمله، في تفكيره، في جميع تصرفاته. ولا نزكي على الله أحداً.

فاعليتها في تسديد مسيرة الجماعة:

رسائل النور زاخرة بالقواعد التي تسدد مسيرة الجماعة، ولكننا نكتفي بذكر قاعدتين

أساسيتين فقط.

أ- العمل الإيجابي الخالص:

المقصود به القيام بتسعة أمور:

- ١- عمل المرء بمقتضى محبته لمسلكه فحسب، من دون أن يرد إلى تفكيره، أو يتدخل في علمه عداء الآخرين أو التهمين من شأنهم، أي لا ينشغل بهم أصلاً.
 - ٢- بل عليه أن يتحرى روابط الوحدة الكثيرة التي تربط المشارب المعروضة في ساحة الإسلام - مهما كان نوعها - والتي ستكون منابع محبة ووسائل أخوة واتفاق فيما بينها فيتفق معها.
 - ٣- واتخاذ دستور الإنصاف دليلاً ومرشداً، وهو أن صاحب كل مسلك حق يستطيع القول: "إن مسلكي حق وهو أفضل وأجمل" من دون أن يتدخل في أمر مسالك الآخرين، ولكن لا يجوز له أن يقول: "الحق هو مسلكي فحسب" أو "أن الحسن والجمال في مسلكي وحده" الذي يقضي على بطلان المسالك الأخرى وفسادها.
 - ٤- العلم بأن الاتفاق مع أهل الحق هو أحد وسائل التوفيق الإلهي وأحد منابع العزة الإسلامية.
 - ٥- الحفاظ على الحق والعدل بإيجاد شخص معنوي، وذلك بالاتفاق مع أهل الحق للوقوف تجاه أهل الضلالة والباطل الذين أخذوا يغيرون بدهاء شخص معنوي قوي في صورة جماعة على أهل الحق - بما يتمتعون به من تساند واتفاق - ثم الإدراك بأن أية مقاومة فردية - مهما كانت قوية - مغلوبة على أمرها تجاه ذلك الشخص المعنوي للضلالة.
 - ٦- ولأجل إنقاذ الحق من صولة الباطل.
 - ٧- ترك غرور النفس وحظوظها.
 - ٨- وترك ما يتصور خطأ أنه من العزة والكرامة.
 - ٩- وترك دواعي الحسد والمنافسة والأحاسيس النفسانية التافهة" (٢٨).
- ب- الانقياد للأوامر الشرعية والأوامر التكوينية:

يقول الأستاذ النورسي: "لله سبحانه وتعالى تجليان - يتجلى بهما على المخلوقات - وهما

تجليان شرعيان صادران من صفتين من صفات كماله جل وعلا.

أولهما: الشرع التكويني - أو السنّة الكونية - الذي هو المشيئة والتقدير الإلهي الصادر من صفة "الإرادة الإلهية".

والثاني: الشريعة المعروفة الصادرة من صفة "الكلام الرباني".

فكما أن هناك طاعة وعصيانياً تجاه الأوامر الشرعية المعروفة، كذلك هناك طاعة وعصيان تجاه الأوامر التكوينية. وغالباً ما يرى الأول - مطيعُ الشريعة والعاصي لها - جزاءه وثوابه في الدار الآخرة. والثاني - مطيعُ السنن الكونية والعاصي لها - غالباً ما ينال عقابه وثوابه في الدار الدنيا. فكما أن ثواب الصبر النصْرُ. وجزاء البطالة والتقاعس الذلُّ والتسقل، كذلك ثواب السعي الغنى، وثواب الثبات التغلب، مثلما أن نتيجة السّم المرضُ، وعاقبة الترياق والدواء الشفاء والعافية" (٢٩).

يُفهم من هذا أن السنن الكونية الإلهية، شريعة الله الفطرية وقوانينه النافذة سارية في الكون كله جارية على المؤمن وغير المؤمن، فلا بد إذن من مراعاتها والالتزام بها لأنها أوامر إلهية كونية كأوامر الشريعة المعروفة، أي: أن من التزم بها يبلغ مراده مؤمناً كان أو غير مؤمن، ومن خالفها يعاقب عليها في الدنيا قبل الآخرة مؤمناً كان أو غير مؤمن.

ومن هنا يقول الأستاذ النورسي: "أن من يشق طريقاً في الحياة الاجتماعية ويؤسس حركة، لا يستثمر مساعيه ولن يكون النجاح حليفه، ما لم تكن الحركة منسجمة مع القوانين الفطرية التي تحكم الكون، بل تكون جميع أعماله لأجل التخريب والشر" (٣٠).

والخلاصة:

إن هذا النهج الحركي السليم بالعمل الإيجابي البناء والمنسجم مع الشريعة الفطرية أو القوانين الكونية، قد أنتج ثماراً يانعة في تركيا، إذ في ظلّه انتشرت بفضل الله رسائل النور، وغذت العقول والقلوب والأرواح بجهد معنوي كبير وشامل انتهى إلى تكوين جيل مؤمن انطلق في المجتمع ينشر حقائق الإيمان والإسلام بالتلمذة على رسائل النور فيما أسسه من مدارس النور ومن دورات تحفيظ القرآن الكريم ومن المدارس الابتدائية والثانوية والجامعات ومن المؤسسات الثقافية والعلمية، ومن الإذاعات المرئية والمسموعة ومن الجرائد اليومية والمجلات العلمية والمتخصصة في شؤون الحياة المختلفة.. وأمثالها من الثمار الكثيرة.

من أوجه خدمات طلبية النور :

- ١- هذه صورة مجملته لأوجه الخدمات وفق ما وضعه الأستاذ النورسي من أسلوب العمل :
الاهتمام بحقائق القرآن والإيمان بدراسة رسائل النور وتحقيق دساتيرها في الحياة. والعمل على نشرها لإنقاذ إيمان الآخرين وربط الناس بالقرآن الكريم.
 - ٢- الاهتمام بالبناء دون الهدم، والتعمير دون التخريب، بالمحافظة على أمن البلاد ونظامها والوقوف من المسؤولين والحكام موقف المرشد والدادل على الخير والصلاح.
 - ٤- عدم استغلال الدين وبدوره رسائل النور لأي نفع دنيوي مهما كان سياسياً أو غير سياسي.
 - ٥- العمل بالتدرج الفطري ونبذ الاستعجال وأعمال العنف بكافة أشكالها.
- ومن هنا نرى اهتمامهم ينصب إلى الناحية التربوية فلهم :

في مجال المطبوعات :

- جريدتان يوميتان، ومجلات للأطفال، ومجلة للمرأة والبيت المسلم، ومجلات شهرية علمية إيمانية، ومجلات اجتماعية وسياسية أسبوعية، ومجلات فكرية أكاديمية شهرية وموسمية، وأخرى أدبية شهرية. وقد أسسوا ما يقرب من عشرة دور للنشر تهتم :
- أولاً- بطبع رسائل النور باللغة التركية واللغات الأخرى "العربية والإنجليزية والألمانية والفرنسية والروسية ولغات بلدان آسيا الوسطى وغيرها من اللغات حتى الصينية".
- ثانياً - التفسير ومعاني القرآن الكريم وكتب الأحاديث الشريفة المترجمة.
- ثالثاً - الاهتمام بتاريخ الصحابة الكرام والإسلامي بعامه.
- رابعاً - الكتب العلمية الإيمانية.
- خامساً - الكتب الفكرية: في الاقتصاد والقانون والأدب وغيرهما.

في مجال الإعلام :

- ١- عدد ضخم من الإذاعات المحلية، وإذاعتان مرتبطتان بالقمر الصناعي.
- ٢- محطة تلفزيون عالمية تبث عبر الأقمار الصناعية.

خدمات التربية والتعليم :

- ١- إنشاء مدارس عديدة لتحفيظ القرآن الكريم وبنابات وأقسام داخلية (مبيت) لمختلف مراحل الدراسة للطلبة، تتم فيها التربية الصحيحة إضافة إلى تقديم خدمات السكن والطعام والتدريس الخاص لهم.

- ٢- إنشاء مئات من المدارس العليا في أنحاء العالم "خارج تركيا" ولا سيما في آسيا الوسطى. مع أربع جامعات إحداها في تركيا.
- ٣- الدروس والحلقات الجماعية التي يعقدها طلبة النور أسبوعيا وهو العمود الفقري في التربية والتوجيه، ففي هذه الحلقات يتدارسون رسائل النور ويتلون القرآن الكريم ويتلقون التوجيهات والإرشادات ويتناقشون في أمور الجماعة.
- ٤- إنشاء المخيمات في العطل الدراسية، حيث يمتزج الترفيه مع التوجيه والتدريس. خدمات أخرى:
- أ- إنتاج أفلام فيديو، تتناول مسائل العقيدة والتربية الإسلامية أو الشعائر الإسلامية "كالصلاة والحج" والتمثيلات التاريخية أو الاجتماعية المعاصرة. وقد أنتجوا حتى الآن عشرة أفلام، كما ترجموا بعضها إلى اللغة الإنكليزية والعربية.
- ب- إنتاج أشرطة صوتية تحتوي على دروس إسلامية أو مدائح نبوية.
- ج- الاهتمام بالانترنت لنشر حقائق القرآن ولهم مواقع كثيرة. ولكن نذكر المواقع التي توجد فيها باللغة العربية والإنكليزية والإسبانية وعناوينها كآتي:
- <http://www.nesil.com.tr>
<http://www.sozler.com.tr>
<http://www.risale-inur.com.tr>
<http://www.rasainur.com.tr>
- د- إقامة أو الاشتراك في مؤتمرات علمية أكاديمية قطرية وعالمية للتعريف بالحقائق القرآنية في رسائل النور.

هوامش

- ١- صقيل الإسلام، المناظرات، ٤٢٨، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، إستنبول، سوزلر، ١٩٩٥م.
- ٢- صقيل الإسلام، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، إستنبول، سوزلر، ١٩٩٥م.
- ٣- وذلك في ١٣٣٤هـ (١٩١٦/٣/٢م).
- ٤- وذلك في ١٩ شهر رمضان المبارك، ١٣٣٦هـ (١٩١٨/٧/٨م).
- ٥- وفي ١٣/١١/ سنة ١٩١٩م دخلت خمس وخمسون سفينة حربية لأسطول دول الحلفاء إلى إستنبول حسب هدنة "موندروس التي عقدت في ٣٠/١٠/١٩١٨م". اثنتان وعشرون منها لإنجلترا. اثنتا عشرة منها لفرنسا. سبع عشرة منها لإيطاليا. وأربع منها لليونان. ووجهت مدافعها نحو قصر الخليفة الذي أصبح في حكم الأسير في قصر "دوله باغجه". واحتل الإنكليز إستنبول في ١٨ مارت ١٩٢٠م.
- ٦- نشرت مترجمة في المجلد الثامن من كليات رسائل النور.
- ٧- وكان ممن حملوا لواءها: تكين آلب "يهودي" وضياء كوك آلب الذي تتلمذ على العالم الاجتماعي الاسرائيلي "دركيم" وإن لم يحضر دروسه في فرنسا، وأحمد آغايف ويوسف أقجورة، ممن هياتهم المخابرات الروسية وأرسلوا إلى تركيا بعد عزل السلطان عبد الحميد الثاني.
- ٨- الشعاعات، ص ٥٤١-٥٤٢.
- ٩- المكتوبات، ص ٤٢٤.
- ١٠- وذلك في فبراير سنة ١٩٩٨م.
- ١١- أديب إبراهيم الدباغ، سعيد النورسي رجل الإيمان في محنة الكفر والطغيان، دار الأنوار إستنبول.
- ١٢- مقدمة المؤتمر العالمي الرابع لبيدع الزمان سعيد النورسي "نحو فهم عصري للقرآن الكريم: رسائل النور أنموذجاً"، سنة ١٩٩٨م.
- ١٣- حديث متفق عليه.
- ١٤- اللمعات، ص ٢٤٧.
- ١٥- اللمعات، ص ٩٠.
- ١٦- الشعاعات، ص ١٩٧.
- ١٧- المثنوي العربي النوري، ص ١٠٤.
- ١٨- المثنوي العربي النوري، ص ٣١٨.
- ١٩- المثنوي العربي النوري، ص ١٤-١٥.

- ٢٠- انظر المؤتمر العالمي الثالث والرابع لبديع الزمان سعيد النورسي بإستنبول أيلول سنة ١٩٩٥ و ١٩٩٨ ،
والندوة الدولية "جهود بديع الزمان سعيد النورسي في تجديد الفكر الإسلامي" ١٨ مارس ١٩٩٩م جامعة
محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية في الرباط المغرب.
- ٢١- بديع الزمان النورسي، سيمياء الشكل والصميم، المقدمة.
- ٢٢- رواه الترمذي في كتاب العلم برقم: ٢٥٨٠.
- ٢٣- الكلمات، ص ١٥٠.
- ٢٤- الملاحق، ص ١٤٥.
- ٢٥- الشعاعات، ص ١٥.
- ٢٦- جريدة التجديد المغربية، العدد، ١٢١.
- ٢٧- اللمعات، ص ٦٧.
- ٢٨- اللمعة العشرون، ص ٢٢٩.
- ٢٩- الكلمات، ص ٨٧٢.
- ٣٠- اللمعات، ص ١٦٠.

* * * *